



العاصفة مجلة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

الأدب العربي النيجيري وتحديد عصوره الأدبية

د/ عثمان إدريس الكنكاوي

أستاذ قسم العربية، كلية التربية لولاية كوارا، إورن، نيجيريا

التمهيد:

يعتبر الأدب العربي في العالم فناً لا يستهان به، إذ هو وعاء الحضارة والثقافة، تحتاج إليه الحياة البشرية، ولذلك بذل نقدة الأدب أقصى جهودهم في تقسيم عصوره الأدبية. وتهدف هذه الورقة إلى إظهار جهود الأدباء النيجيريين في تقسيم العصور الأدبية العربية للأدب العربي التيجيري. والمقالة مقسمة إلى محورين:

المحور الأول: الأدب العربي وتحديد عصوره الأدبية:

لا شك أن الأدب هو أحد أشكال التعبير البشري عن مجمل عواطف وأفكار وخواطر يجعلها الإنسان المتمكن في الأساليب الكتابية المتنوعة الأغراض والفنون، وبهذا التنوع تتضح للإنسان أبواب القدرة للتعبير، وأكالييل الملكة للتخيّل أمام ارتباط الأدب باللغة ارتباطاً وثيقاً. فالنتاج الحقيقي للغة والثقافة المدونة بهذه اللغة العربية يكون محفوظاً ضمن أشكال الأدب وتجلياته مع اختلاف المناطق والعصور. وقد دأب بعض دارسي الأدب العربي في كل مكان على تصنيفه إلى فترتين أساسيتين: الأدب القديم والأدب الحديث، فيقصد بالأدب القديم كل عمل أدبي، كتب قبل النهضة العربية، كما يقصد به كل أدب كتب على نمطه فيما بعد، ويمكن أن يسمى بالأدب التقليدي لكونه يسير في ركاب التبعية والتقليد، أما الأدب الحديث فهو كل عمل أدبي ابتكر بعد النهضة العربية، وهو يختلف عن غيره في أساليبه وفي مضامينه وفي بنائه الفني، وفي أغراضه وموضوعاته، وأنواعه المستجدة والمختلفة. واعتاد بعضهم تصنيفه إلى حسب الأساليب مثل الشعر الحر، الشعر المرسل، شعر الحداثة، الشعر المعاصر، شعر النفعلة وقصيدة النثر. ويذهب بعضهم مذهب تصنيفه حسب الأجيال، مثل شعر الستينيات وشعر السبعينيات. ومنهم من يري تصنيفه حسب التسمية الواحدة، فيشتمل على مسح شامل لكل من جمعهم اسم واحد كما فعل القاضي صاحب جمال الدين علي بن يوسف القفطي الذي جمع من اسمه محمد من الشعراء على مستوى الأرض الإسلامية وعبر العصور، وبحسب التسلسل الهجائي الألفباني لاسم الأب مراعيًا ذلك في الحرف الأول. كما مال بعضهم إلى تصنيفه إلى حسب الأحداث والوقائع.

أما تاريخ المحاولة في تحديد العصور الأدبية للأدب العربي حسب الفترات الزمنية، يرجع إلى مطلع القرن العشرين، حين رأت الجامعة المصرية ضرورة تأليف كتب الأدب للدراسة في الجامعات على الطريقة التي ارتضتها الجامعة في عام ١٩٠٧م، وألحّت على بعض كتّاب العصر للقيام بهذه المهمة، فتقدّم كثير منهم، أمثال جرجي زيدان ومصطفى صادق الرافعي. فكان تقسيم العصور الأدبية في العالم العربي إلى ستة عصور. هذا هو المحاولة الأولى في هذا المجال. وهي: العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام، العصر الأموي، العصر العباسي، العصر الانتحطاطي أو عصر الدول المتتابعة، والعصر الحديث. ولقد تمادى ببعض مؤرخي الأدب تفكيرهم الثاقب حول بعض ظواهر الحياة الاجتماعية الفارقة بين الإنتاجات الأدبية، فقسموا الأدب العباسي إلى أربعة عصور، شملت خمسة قرون أربت عليها السلطة العباسية (١).

١ انظر: حجازي، جلال صابر، (د.ت) في الأدب العباسي والأندلسي، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، مصر العربية ص ٢-٣.

المحور الثاني: الأدب العربي النيجيري وآراء نقدة الأدب في تحديد عصوره الأدبية:

فالأدب العربي النيجيري عبارة عن الأعمال الأدبية التي جادت بها قرائح علماء نيجيريا في عهدها القديم والحديث، سواء كانت مكتوبة باللغة العربية، أو باللغة المحلية المكتوبة بالأبجدية العربية التي اصطلحت عليها بالكتابة الأعجمية، وهذه الإنتاجات الأدبية هي بمثابة التراث الأدبي النيجيري الذي قد ضاعت بأكثرها يدُ الضياع. ولولا تلك عوامل النهضة الأدبية التي أسادت بها مصر العربية في العصر الحديث، لما خرجت إنتاجاتنا الأدبية من حيز العدم إلى حيز الوجود(١).

هذا، فإن الأدب العربي النيجيري لم يزل من بين الظواهر الاجتماعية المتأثرة بغيرها من الظواهر الأخرى، كالحياة السياسية، والاجتماعية، والنشاطات الفكرية والحضارية للوطن النيجيري، والبيئة الطبيعية التي ينشأ فيها. فأصبح بذلك أدباً قومياً، ومرآة صادقة وعابرة عن جميع مجالات الحياة المتعددة الجوانب، من حيث السعادة والشقاوة والعواطف والانفعالات والأحلام والتشاؤم والتفاؤم والتقدم أو الخلف والتطلع إلى المستقبل(٢). ولكن تحديد العصور الأدبية للإنتاجات الأدبية في نيجيريا لخطوة جديدة لم تكن في القرن الثامن والتاسع عشر الميلاديين، بل نشئت في العقد الثامن من القرن العشرين لضرورة احتياج الدراسة الأدبية إلى التحديد الزمني لتسهيل الدرب في معرفة أحوال الأعمال الأدبية، من زمن إلى آخر، من ناحية القوة والضعف، أو التقدم والانحطاط في ديار نيجيريا. فانقسم الأدباء في نيجيريا في هذا التحديد إلى فريقين: فريقٌ يتزعمهم الدكتور علي أبوبكر(٣)، يرى هذا الفريق تحديد الأدب حسب القرون التي عاشت فيها الأدباء، وينتقل من أعمال أدباء قرن إلى قرن آخر. مع التنبيه اللازم والإشارة العابرة عن الفوارق عن كل قرن من حيث الازدهار والاضمحلال. والحقيقة أن أنصار هذه الفكرة تأثروا كلُّ التأثير بالأدب الإنجليزي الذي كان هو الأدب الغالب والغزو الفكري للثقافة العربية وآدابها في الوطن النيجيري(٤).

أما الفريق الثاني من مؤرخي الأدب العربي النيجيري، فإنهم يرون التحديد بالعصور متأثرين بالأسلوب السائد في تقسيم العصور الأدبية في العالم العربي. وليس من المبالغة، إذا قلنا أن الشيخ آدم عبد الله الإلوري(٥) سبق غيره من مؤرخي الأدب العربي في نيجيريا خاصة، وفي غرب أفريقيا عامة، إلى فكرة ضرورة تحديد العصور للأدب العربي النيجيري، حيث يقول: "إنه يرتبك دارس الأدب العربي في هذه البلاد، إذ يجد نفسه تجاه مفترق الطرق لا يدري أين يتوجه، هل يصير على طول القرون فيخرج من قرن إلى آخر، ويستقصى ما فيه من علماء وشعراء، والقرون التي نهضت بالأدب عديدة، وركابها صعب، أو ينهج منهج القبائل ويحضر الأدباء والعلماء في حدود كل قبيلة، والقبائل التي أنجبت العلماء والأدباء متشعبة..."(٦). هذا، فإن الشيخ آدم عبد الله الإلوري هو أول من ألقى دلوه في الدلاء لتحديد العصور الأدبية في هذه الديار، مع اعترافه الظاهر بالمذهب المستحسن لتحديد العصور الأدبية في البلاد العربية اليوم، وإعجاب

١ انظر: أوريمادينغ، داود حميد، (٢٠٠٤م)، لمحة عن الأدب العربي في بلاد يوربا، ط١، الطيبون - المنظر الإسلامي، أيكوتا، أوغن، ص٢٥.

٢ سعد حسين عمر مقبول وعبد الحميد محمد زكري، (١٤٥٦هـ)، الأدب والنصوص والبلاغة، ط٢، جمعية الدعوة الإسلامية العلمية، مكتب الإعلام والبحوث والنشر، ص١٣.

٣ هو أول من خاض في الدراسات الأدبية النقدية من مواليد نيجيريا، على المستوى الأكاديمي، بكتابه: الثقافة العربية في نيجيريا، المقدم لنيل درجة الدكتوراه في جامعة دار العلوم بالقاهرة.

٤ كتاب الثقافة العربية في نيجيريا تأليف الدكتور علي أبي بكر، من خير البراهين الأدبية في تقسيم الإنتاجات الأدبية إلى القرون، وإن كان أقل رواجاً في الاستعمال لدى نقدة الأدب في نيجيريا.

٥ الإلوري: هو من أعلام الكتاب، ورواد الفكر الإسلامي وعمود الأدب العربي في نيجيريا، له مؤلفات قيمة في المجالات العلمية العديدة، أسس مدرسته الكبيرة التي تنفق كل قواها في خدمة الإسلام واللغة العربية، والإنسانية. ولد في عام ١٩١٧م، ورحل إلى الأبد (رحمه الله) في مايو ١٩٩٢م.

٦ الإلوري، آدم عبد الله، (١٤٢١هـ - ١٩٩٢م)، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط٢، ص٢٨.

بالأسلوب الذي سار عليه ذلك الكاتب القدير التونسي حسن حسني عبد الوهاب في كتابه: تاريخ الأدب التونسي، وهذا هو التحديد عند الشيخ آدم عبد الله الإلوري:

١. العصر البرنوي أو البربري: بدأ بدخول الإسلام إلى شمال نيجيريا في القرن الخامس إلى السابع الهجري.
٢. العصر الونغري: بدأ من القرن السابع إلى التاسع ويصادف هذا العصر عصر النهضة العلمية بتمبكتو وجني.
٣. عصر المغيلي: استهل العصر من القرن السابع وانتهى في القرن الحادي عشر الهجري.
٤. العصر الفلاني: بدأ بظهور بن فودي وقيام دولته، إلى أن سقطت سلطته تحت أقدام الإنكليزيين (أصحاب الغزوات الفكرية المعادية للإسلام واللغة العربية).
٥. العصر الإنكليزي: فبدايته من مطلع القرن العشرين إلى وقتنا الحاضر (١).

وقد ذكر الدكتور أحمد سعيد غلادنت (٢) تقسيمه لعصور الأدب العربي النيجيري فهو كالآتي:

١. فترة تأسيس الممالك والولايات: كانت بدايتها قبل القرن العاشر الميلادي إلى آخر القرن الثالث عشر تقريباً.
٢. فترة الوفود والحركات الثقافية الإسلامية: وهي من القرن الرابع عشر إلى الثامن عشر تقريباً.
٣. فترة دولة سكتو: وبدايتها من العقد الأول من القرن التاسع عشر (١٨٠٤م) إلى أن اخترمتها الغزوات الفكرية الاستعمارية في سنة ١٩٠٣م.
٤. فترة الاستعمار: وتبدأ من سقوط الدولة (١٩٠٣) إلى عام الاستقلال (١٩٦٠).
٥. فترة ما بعد الاستقلال: وتبدأ من الاستقلال إلى اليوم (٣).

وقد أدلى أحد المعاصرين بدلوه في تقسيم العصور الأدبية العربية في نيجيريا (٤) وهو:

١. عصر الاستهلال أو عصر كانم وبرنو والموحدين (١٠٠٠-١٣٠٠).
٢. عصر الاسترشاد أو عصر الدعاة الوافدين (١٣٠٠-١٨٠٤)
٣. عصر الاستقرار أو العصر الفودي (١٨٠٤-١٩٠٣)
٤. عصر الاستعمار (١٩٠٣-١٩٦٠)
٥. عصر الاستقلال (١٩٦٠-١٩٩٩)
٦. عصر الازدهار (٢٠٠٠- إلى ما شاء الله) (٥)

١ الإلوري، المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.
 ٢ هو من أعلام الأدب العربي في نيجيريا والرئيس السابق لجامعة عثمان دن فوديو، وسفير نيجيريا السابق بالمملكة العربية السعودية وهو المؤلف لحركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا.
 ٣ غلادنت، شيخو أحمد سعيد، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط٢، شركة العيمان للطباعة والنشر، الرياض، ص ٣١.
 ٤ هو زكريا إدريس - أوبو حسين أحد برافسة اللغة العربية في جامعة ألون، نيجيريا، له مؤلفات قيمة كثيرة في الأدب والنقد، وهو مع ذلك وزيراً لإمارة أوتشي الإسلامية، وإماماً لأئمتها، تمّ له الإشراف على ما يزيد على خمسة عشر طالباً من طلاب مرحلة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، ولد في منتصف القرن العشرين الميلادي (١٩٥٠م).
 ٥ زكريا إدريس-أوبو حسين، (٢٠٠٠م-١٤٢١هـ)، المأدبة الأدبية للمدارس العربية في غرب أفريقيا الغربية، ط١، دار النور للثقافة العربية والإسلامية، أوشي، ص ١٧٤-١٨١.

الخاتمة

وعلى مدى فلسفة تقسيم العصور الأدبية في ديار نيجيريا، بين هؤلاء مؤرخي الأدب، نستنتج ما يأتي من النقاط التي تشير إلى وجوه الاتفاق والاختلاف بينهم.

١. الاتفاق بين الشيخ الإلوري والدكتور غلادنت في تخميس العصور الأدبية.

٢. الاختلاف في نسبة العصور، فالشيخ الإلوري نسب العصور إلى أهم القبائل الذين أظهر الله بها الإسلام واللغة العربية في نيجيريا، وأيضاً إلى الشخصيات المبرزة في الحركات. ولكن الدكتور غلادنت آثر إسناد كل فترة إلى الحركات والحوادث الهامة التي وقعت فيها. وأما البروفيسور زكريا حسين فقد جمع بين المذهبين، فأسند إلى القبائل كالإلوري، وإلى أهم الحركات والحوادث كغلادنت. ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد هو أن البروفيسور زكريا إدريس -أوبو حسين، قد استطاع أن يضيف جديداً إلى المعلوم وذلك هو العصر السادس الذي عبّر عنه بعصر الازدهار. ولعل ما يلاحظه البروفيسور حول ما اكتسبته الإنتاجات الأدبية النيجيرية بعد الاستقلال من خصائص وسمات- ولو كانت متقاربة ومتشابهة - هو العامل القوي في إضافة العصر السادس. وكما يلاحظ من صنع البروفيسور في هذا المجال أنه غلب عليه استعمال السجع في المسميات.